محرقة سافونارولا...

نجلاء محفوظ

يعد التاريخ الإنسانى منبعا خصبا - لا ينضب - للإبداع على مر العصور، وتتزايد أهميته عندما يراد اللجوء إليه للاسقاط على الواقع المعاش بكل تناقضاته المتنامية...

ولهذا غاص الأديب ميلاد حلمى فى اغوار التاريخ وتوقف طويلا فى القرن الخامس عشر، وتأمل بعمق وعاد إلينا بمسرحيته «محرقة سافونارولا»....

صدر ميلاد المسرحية باهداء إلى مصر مستوحى عن شعر دانتى فقال : وامصراه... يا مسكن كل ألم.. وغاية كل أمل.. أهدى حديثى.. وإن كان كل حديث لا يجدى...

تلقى المسرحية بظلالها على ما نعيشه اليوم من محاولات لاستغلال مكانة الدين فى قلوب الناس وتسخيره لتحقيق مطامع تنزع نحو الزعامة أو السلطة الدينية أو لتعويض هزائم شخصية.. وكل أحداث المسرحية حقيقية واشخاصها لعبوا فى المسرحية ادوارهم الحقيقية نفسها.

وفى خطوة ذكية من المؤلف اختار ان يضم لابطال مسرحيته ميكافيللى، ولم يقدمه لنا باعتباره القائل : الغاية تبرر الوسيلة، ولكن طرحه لنا بصورة افضل وأرحب عن طريق افكاره الإنسانية التى تتسع لتنادى بالحرية بكل الوانها لجميع البشر وبضرورة إعمال العقل، وإفساح المجال للتفكير الحر ليكون له الرأى الحاسم فى جميع أمور حياتنا، وليكون هو الحكم والفيصل...

ويمثل ميكافيللى فى المسرحية حيرة المثقف فى صراعه المستمر مع كل من الحاكم والولاة والكهنة... اما سافونارولا، فقد بدأ حياته الدينية بمحاربة عاتية للخرافات وللهرطقة الدينية التى كانت سائدة انذاك ثم تحول هو نفسه - فيما بعد - إلى أكبر مصدر للدجل باسم الدين.

توضح المسرحية مدى انتهازية الولاة حيث تركوا سافونارولا يتمادى فى نشر الخرافات ماداموا مستفيدين منها، ثم انقلابهم عليه عندما بدأت شظايا الضرر تصل إليهم، وتهدد مكاسبهم وامتيازاتهم التى تمتعوا بها دون سائر أبناء الشعب.

ونرى من خلال القراءة المتأملة للمسرحية أن التاريخ يكرر نفسه وبصدق المقولة الشائعة : ما اشبه الليلة بالبارحة، وبأننا لا نتعلم من دروس التاريخ ونستخف بها ولا نعطيها ما تستحق من الاهتمام، ولو فعلنا ذلك لنهضنا بأنفسنا ولتغير حالنا كثيرا..

وهل يصدق أحد اننا ونحن فى القرن الحادى والعشرين مازال البعض منا يردد دعاوى الراهب سافونارولا فى القرن الخامس عشر بضرورة بقاء المرأة فى البيت وعدم مغادرتها له، وبتحريم الغناء والموسيقى؟!